بل لا بد أن يستحقر غيره فإنه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم
يتكبر بل بأن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند
هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لا أن هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية
وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه هزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز
في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون إلى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بك من نفخة الكبرياء وكذلك قال عمر رضي الله عنه أخشى أن تنتفخ حتى
تبلغ الثريا للذي استأذنه أن يعظ الناس وكان الانسان مهما رأى نفسه بصورة الاستعظام
انتفخ وتعزز وتكبر فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات
وتسمى الكبر أيضاً عزة وتعظماً وفسر ابن عباس رضي الله عنه إن في صدورهم إلا كبر ما هم
ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ثم هذه العزة تقتضي أعمالاً في الظاهر والباطن هي ثمرات لها
ويسمى ذلك تكبراً فإنه مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراه
وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى أن حقه أن يقوم ماثلاً
بين يديه إن اشتد كبره فإن كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يره أهلاً
للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته وإن كان دون ذلك أنف عن مساواته وتقدم عليه
في مضايق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر أن يبدأه بالسلام وإن حاج أو ناظر
أنف أن يرد عليه وإن وعظ استنكف عن القبول وإن وعظ عنف في النصح وإن
رد عليه شيء من قوله غضب وإن علم لم يرفق بالمتعلمين وامتن عليهم واستخدمهم
وإذا نظر إلى العامة فكأنه ينظر إلى الحمير استجهالاً لهم وتحقيراً والأعمال الصادرة عن
خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه
يهلك أكثر الخواص من الخلق وقل ما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلاً عن العوام
وكيف لا تعظم آفته وقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال
ذرة من كبر وإنما صار حجاباً دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين
كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعز النفس يغلق تلك الأبواب كلها

لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو
رأس أخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على
ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف ولا
على قبول النصح ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفي كل من ذلك العز ولا معنى للتطويل
فما من خلق ذميم إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود
إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يفوته عزه فعلى هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال
حبة والأخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لا محالة وشر أنواع
الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفي ذلك وردت الآيات
التي فيها ذم المتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطو أيديهم إلى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ون
وقال تعالى ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم أخبر أن أشد أهل
النار عذاباً أشدهم عتياً على الله فقال ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا
وقال تعالى والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال تعالى إن الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين
يتكبرون في الأرض بغير الحق قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وقيل سأحجب حجب
قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها
ولذلك قال عيسى عليه السلام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا كذلك الحكمة
تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر ألا ترون أن من شمخ برأسه إلى السقف
شجه ومن طأطأ أظله فهذا مثال ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال من سفه
الحق وغمص الناس **بيان المتكبر عليه** وأقسامه ودرجاته
وثمرات الكبر فيه اعلم أن المتكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر الخلق وقد خلق
الانسان ظلوماً جهولاً فتارة يتكبر على الخلق وتارة على الخالق فإذاً التكبر باعتبار
المتكبر عليه ثلاثة أقسام الأول التكبر على الله وهو أفحش أنواع الكبر ولا مثار له إلا الجهل الجهل

Copyright King Saud University